



## صلاه سنيتية

### ما يسومونه ( حجة نافهة ) ! ...

اسرائيل ، مطالبة اياها ، وبالبحاح ، الا تغير شيئاً من وضع دماكن المقدسة ولا من مظاهرها .

اما الاونسكو ، فقد طلبت في اطار مهمتها الحضرارية ، ووفقا للمبادئ التي نص عليها الاتفاق الدولي حول حماية التراث الثقافي في حالات النزاع المسلح ، وهو اتفاق لاهاي لعام ١٩٥٤ ، طلبت الاونسكو من السلطات الاسرائيلية التي وقعت على هذه الوثيقة الحقوقية الهامة ، ان تطبق احكامها . وهذه الاحكام التي اكتملتها فيما بعد توصية نيودلهي ، تحظر على كل دولة موهبة اسنولت بالقوة على ملك ثقافي يخص دولة اخرى تدعيم هذا الارث الثقافي او استلحافه او تغير معالمه . ومنذ عام ١٩٦٧ ، ارسل المجلس التنفيذي للاونسكو الى سلطات الاحتلال توصية بهذا المعنى . وفي عام ١٩٦٨ ، ايد المؤتمر العام ، بنوصية اخرى ، موقف المجلس التنفيذي في هذا الصدد . وما فتىء هذان الفرعان للاونسكو، منذ سبع سنوات ، يدعوان اسرائيل بشكل منظم الى التنفيذ بالقانون الدولي . ولكن اسرائيل ، كما تفعل منذ خمسة وعشرين عاما تجاه فرارات الامم المتحدة ، ما تزال منذ سبع سنوات تحتقر فرارات الاونسكو التي استنفدت كل المعجم الدبلوماسي المستعمل ، من « الاسف » الى « الاستنكار » ، الى « الادانة » ، محاولة عبثا رد السلطات الاسرائيلية الى مفهوم للاشياء سليم وطبيعي ، في اطار القانون الدولي الذي لا يبقى خارجه الا قانون العنف . اما اسرائيل ، فقد اختارت في القدس طريق العنف . والعنف ، في حالة القدس ، المدينة المقدسة ، والمدينة التاريخية ، ومدينة الفن ، هو مهاجمة هذه المظاهر الاساسية الثلاثة للمدينة ، مع احتمال تعريضها للخطر .

فما الذي قامت به سلطات الاحتلال الاسرائيلية ؟ لقد هدمت بالجرافات احياء كاملة كالحي المغربي الذي يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر : ستمئة مبنى ومنشأة دينية ومساجد للمماليك والايوبيين اختفت من الخارضة . واجريت حفريات تحت مسجدي الأقصى والصخرة . ولن ننسى بهذا الصدد الحريق الذي نسب آنذاك الى شخص غير مسؤول كاد يدمر منذ بضع سنوات تلك الجوهرة الثرية الرائعة التي هي المسجد الأقصى . وحملة الحفريات هذه هي ، في نظر جميع المرافقين الحياديين ، بعينة عن ان تكون ، كما يزعم البعض ، « حجة باطلة او نافهة » لكي تؤدي الى ادانة اسرائيل : ذلك ان هذه الحملة ترمي ، عبر موكب الهدم والتدمير والتخريب ، الى محو اكبر عدد ممكن من الاماكن والعلامات والرموز التي تدل دلالة لا ترد على الطابع اللايهودي القديم للمدينة ، من اجل تهويدها وصهيئتها التدريجية . هذا ما كان ينبغي ان يأخذه بعين الاعتبار المدافعون عن اسرائيل بلا قيد ولا شرط . فما كان عسى هؤلاء المدافعين ان يفكروا لو ان المحتلين ، خلال فترة « الاحتلال » ، كانوا قد قاموا بحفريات تحت

سما فيه من المتففين الفرنسيين وبعض الصحف الفرنسية حمله بهديد وتخويف واسع ، بسبب ان المؤتمر العام للاونسكو في دورته الثامنة عشره انمي عقدت في سرين اتاني الماضي ، اتخذ قرارا بحق احد اعضائه ، وفقا لاحكام الموسوم التشريعي . وبدت هذه الحملة اسر حاسر ، خصوصا بما اصرح به المدير العام للاونسكو ونشرته جريده « نوموند » بتاريخ ٧/١٢/٧٤ ، عبر موقعه في اختيار الحجج والوسائل . بعد زعم موقعه البيانات القائمة غالبا على التسام والمغالب المفرضه دائما ان اسرائيل ، الدولة العوض ، يد « طردت » من المنظمه ب « حجة نافهة » هي حجة النفيبات الثرية ، وانها تعرضت لضرر من احظر للاضرار في الا يكون لها حضورها في منطقة من مناطق العالم تعبير اطارا لنشاطات المنظمه الموصوفة بانها نشاطات « اقليمية » .

والغاية من كلمنا التوضيحية الجديدة هذه هي الاسهام في ابيات حقيقة الوفاق - في نقطة الانطلاق ونقطة الوصول - والمساعدة على اعلام الجمهور ، وبعتيك آله الحرب التي ينصبها في وجه الاونسكو اولئك الدين اصبح تشويه الحقيقة ، خدمة لاية قضية اسرائيلية مهما كانت ، ضيعة نائية لديهم ، واصبح تسميم الاخرين بالحقائق المعكوسة ضربا جديدا من التعبير عندهم .

\*\*\*

بصدد مدينته القدس ، يجب ان ترى ان المسألة واضحة كالتنهار ، خلافا لكل تمحك او جدل فارغ . فما الذي حدث حقا ؟

في عام ١٩٤٨ ، اسولت اسرائيل على نصف المدينة ، محتقرة فرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ، واعلنت سلطات هذا البلد - الذي لا بد من التذكير بان قرار الامم المتحدة هو وحده الذي انشاء - رغبة في اتخاذ هذه المدينة « عاصمته » ، ضد قرار الامم المتحدة ، وهي « عاصمة » لم توافق اية دولة في العالم على الاعتراف بها . ومنذ ذلك التاريخ وتوصيات الجمعية العمومية وقرارات مجلس الامن المتعلقة بالموضوع تذكر اسرائيل - التي لم تكن لتبالي - بخرقها الفادح للحق الملوي الذي يحدده الميثاق .

وعى عام ١٩٦٧ ، قامت اسرائيل بعدوان جديد على جيرانها العرب ، وحنقت ضما جديدا للاراضي بالقوة ، ومن هذه الاراضي القسم العربي من القدس ، المدينة المقدسة التي لم يطلق عليها العرب ، بدائع من تبجيلها ، اي اسم ، مكتفين بتسميتها « القدس » . والواقع ان في هذا الجزء من المدينة اقدس الامكنة التي تكرسها الادان التي يعتنقها اكثر من مليار مؤمن .

ومن جديد ادانت الامم المتحدة ، بجمعيتها العمومية ومجلس امنها ،

منح اسرائيل مساعدة في ميادين التربية والعلم والثقافة ، الى ان تحترم بدقه القرارات المذكورة » اي « القرارات السابقة التي اتخذها المؤتمر العام منذ دورته الخامسة عشرة الخاصة بانتهاك قراراته وانتهاك الاهداف المذكورة في المرسوم التشريعي » .

اين هي الفضيحة في ذلك ؟ ولماذا هذا الارتداء الاعمى في الجهل الكامل لمعطيات المسألة الحقيقية ؟ واي مرافق متجرد يستطيع ان ينكر على المجتمع الدولي الحق في مجازاة عضو من اعضائه يرفض رفضا تاما القواعد التي وضعها هذا المجتمع لصالح الجميع وصالح كل عضو من اعضائه من اجل حياة دولية ممكنة ؟

لقد اخذ بعض الصحف المتسرعة او الموجهة على الاونسكو ان تتخذ ازاء اسرائيل ما يجب اعتباره عقابا ضعيفا جدا في هذه المرحلة . فان تاريخ المنظمات الدولية غني بعقوبات اقسى واشد تجاه الدول الاعضاء التي خرقت انظمتها ، فلم تثر تلك العقوبات اعتراضات رئيسية ، باستثناء اعتراض الجهات المعنية ، ولم تشن حملات كراهية وحقد على تلك المنظمات المسؤولة عن هذه العقوبات . ان هناك اتفاقا دوليا مستندا الى رأي محكمة العدل الدولية في نيسان ١٩٤٩ بسم « لكل منظمة مختصة ان تتخذ كل عقوبة تراها ضرورية ، حتى بدون نص صريح في دستورها . وهكذا :

- ١ ) قررت الجمعية العمومية لمنظمة التغذية والزراعة عام ١٩٦٣ طرد جنوب افريقيا من الاجتماعات الاقليمية للمنظمة .
- ٢ ) وقررت الجمعية العمومية للمنظمة العالمية للصحة عام ١٩٦٤ ايقاف الامتيازات المتعلقة بحق التصويت بجنوب افريقيا .
- ٣ ) وتبنى مؤتمر البريد العالمي الذي عقد في فيينا عام ١٩٦٤ قرارا بطرد وفد جنوب افريقيا . واتخذ القرار نفسه في مؤتمر طوكيو ١٩٦٩ .

٤ ) واتخذ مؤتمر المواصلات المسافة عام ١٩٦٥ قرارا بطرد جنوب افريقيا من المؤتمرات الاقليمية لافريقيا التي تدعو اليها منظمة المواصلات المسافية .

ووفقا لهذا العرف الدولي ، فرضت الاونسكو بعض العقوبات على البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا بسبب سياستها في السيطرة الاستعمارية والتمييز العنصري . وقد تبني المؤتمر العام للاونسكو بعض هذه العقوبات في خط قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة ، واتخذ المبادرة لتبني عقوبات اخرى ضد البرتغال بسبب سياسته الاستعمارية وساسة التمييز العنصري وساسة القتل والابادة العنصرية .

واذن ، فان هذا القرار « الاجرائي » الذي اتخذته المؤتمر العام للاونسكو ازاء الدولة اليهودية انما يندرج في هذه الطائفة من القرارات السابقة التي اتخذتها الامم المتحدة . غير ان هذا القرار الذي شوهه اصدقاء اسرائيل تشويها متعمدا يظل الى حد بعيد نظريا ، باعتبار ان اسرائيل لا تستعين الا استعانة متواضعة بمساعدة الاونسكو الموجهة خصوصا ، كما هو معروف ، نحو البلدان التي هي في طريق النهو . ثم انه يتعين على اسرائيل ، وعليها وحدها ، ان تتصرف بحيث ترفع عنها هذه العقوبة التي استحققتها عن جدارة : فكيفها من اجل ذلك ان تشرف - في هذه النقطة المحددة على الاقل - توقيعها على عدد من الاجهزة القانونية التي انتمت اليها بحرية والتي تفرض عليها الواجبات التي تفرضها على كل دولة اخرى موقفة . ان الدولة الجديرة بالاحترام هي اولاً الدولة التي تحترم نفسها عبر الالتزامات التي اتخذتها .

واخيرا ، فان المؤتمر العام ، بعد القرار المتخذ والذي يؤكد جميع القرارات السابقة المتعلقة بالقدس ، يدعو صراحة « المدير العام او اوصلة جهوده من اجل تأمين الحضور الحقيقي للاونسكو في مدينة القدس » ، فاذا كانت الدولة العبرية تصر على مواصلة سياسة الباب المغلق ، افلا توشك على الصعيد الدولي ان تجد نفسها في وضع اشد صعوبة على الجانب الاخر من باب احكامت اغلاقه ؟

## صلاح ستييتية

كنيسة « توتردام » ، مثلا ، محاولين اكتشاف ما يررب بأي ثمن - بناء على آثار آرية ويزيفوتية ، مثلا - حقا ما على العاصمة الفرنسية ؟ وما عسى هؤلاء المدافعين انفسهم ان يفكروا ، على الصعيد الجمالي ، وهذا مثل آخر ، بشأن حماية اماكن مدينتي البندقية وفلورنسة الرائعة ومباينهما لو ان مقالين ، مدفوعين بآية دوافع ، حصلوا بعض الاحياء القديمة في هاتين المدينتين ليقموا على الاماكن « الحرة » ابنية مشتركة وناطحات سحب ؟ والحال ان هذا تماما ما يفعله الاسرائيليون على تصفيق اصدقائهم وتهليلهم المتسرع ... ليس علينا الا ان ننظر الى تلك الصور التي نشرت اخيرا لتنتبث من الجريمة ، الروحية والفنية، التي ترتكب في القدس . ليس علينا الا ان نرى هذه الصور لتتأكد من ان المجموعة الدولية كانت على حق في مطالبتها اسرائيل بوقف هذه الجريمة ...

ان الذي يرى تلك الصور التي هي افصح وابلق من اية حجة ، يدرك لماذا قررت اعلى هيئة في الاونسكو ، اي المؤتمر العام الذي يتكون من ممثلي الدول الاعضاء المسؤولة ، انه قد اصبح من الضروري، اذا اريد انقاذ المدينة ، القيام بخطوة اخرى في استنكار عمل اسرائيل . وليس يمكن لهذه الخطوة بعد ان تكون مجرد موقف مبدئي ، باعتار ان مختلف المواقف المبدئية التي كانت تزداد شجبا واستنكارا ، كانت قد وجدت اسرائيل لا مبالية تماما بالانفعال الدولي . لنذكر هنا انه منذ بضع سنوات ، بعد ان ادان المؤتمر العام والمجلس التنفيذي للاونسكو اعمال اسرائيل مرة اخرى ، كان السيد تبني كولك رئيس بلدية مدينة مزعوم انها قد « وحدت » ، بجمهم مؤتمرا للاختصاصين من المهندسين والمهندسين المدنيين مختلفي الجنسيات ، وان كانوا جميعا من اليهود ، ليعرض لهم مشروعاته بشأن تنظيم وضع المدينة في المستقبل . فهل نعرف حقا ان هذا المؤتمر ، المفروض انه متعاطف ومنحاز ، قد رفض رفضا باتا الخطط المطروحة بمقدار ما كانت تفضي الى تشويه الامكنة تشويها كاملا ؟ وبالامس فقط ، في اليوم التالي لتصويت المؤتمر العام على القرار المتعلق بالقدس ، المسم تر مجلس الوزراء الاسرائيلي بقرار انشاء « منطقة صناعية » في القطاع الغربي، اي في « الاماكن المقدسة » بالذات ؟

ان شجب المجتمع الدولي لاسرائيل لا يمكن القول انه اخذ الدولة العبرية على حين غرة . فقد كان هذا الشجب آتيا منذ سنوات بعيدة كمرحلة لا مفر منها في موجة الرفض التدريجية . ولقد اندر اسرائيل افضل اصدقائها بذلك عشية انعقاد المؤتمر العام وفي اثنائه . بل لقد طلبت احدى حليفات اسرائيل ، بشكل سري ، ان تعلن اسرائيل خلال المؤتمر العام ، وبلا مواربة ، ان جميع الحفريات ستوقف في القدس تلسة لارادة الدول في مجموعها . ولو اتخذ هذا الموقف المنطقي المأمول لعطل الانفجار ولاعطي المدينة فرصة لان تنفذ . ولكن اسرائيل قالت : لا .

\*\*\*

ما كان عسى المجتمع الدولي ان يفعل ازاء هذا الموقف السلبي من الرفض والتعدي ؟ ما عساه يفعل ، هذا المجتمع ، بعد خمسة وعشرين عاما من المفاوضات اللامجدية في الامم المتحدة ، وبعد سبعة اعوام من المناقشات اللامجدية في الاونسكو ؟ اينبغي له الاستسلام وتكريس « الامر الواقع » ؟ اينبغي اقرار استشهاد المدينة المقدسة الجسدي ، بعد استشهادها الروحي ؟ في وجه « لا » اسرائيل العاصمة ، قال المجتمع الدولي بمره : لا . وقد قال لآءه هذه بلا خوف ولا تردد ولا ندم حين اكد التصويت الاولي على القرار الذي يدين اسرائيل « لوقفها المستمر في تفسير الطابع التاريخي لمدينة القدس » : وقد تبع هذا التصويت الاول داخل اللجنة الثقافية المتخصصة تصويت اخر ، بعد ثلاثة اسابيع ، داخل المؤتمر العام للاونسكو الذي اتخذ قراره باغلبية اكبر بالرغم من الحملة الصحفية العنيفة التي شنها جميع اصدقاء اسرائيل .

علام ينص ذلك القرار ؟ انه « يلزم المدير العام بالامتناع عن